مقدمة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[1].

الكلمة حروف قلائل إلا أنها أول المعرفة وطريق الحضارات، ومبتدأ المنهج. وبالكلمات تتوجه الإرادة نحو الهدف، وبها يعلو صوت الحق ويخبو الباطل، وبها تتفتح الأذهان وترتقى، ولأجلها عذب الشرفاء وارتوت بدمائهم الزكية أجواء وأرضون، فأذابت على مهل قلاع الجبابرة وحصونهم. وكم من عالم اعتلى أكتاف التاريخ ولم يخلف إلا كلمات قلائل، بيد أنهن مفاتيح الحضارة. وأشرف الكلمات كلمة حق.

ولو أن كل مسئول أو صاحب رأى أو محترف لصناعة الكلمة وتوجيه الرأى قدَّر مقولته وما يعقبها، ومقالته ومن يقرأها، وفتواه ومن سيعمل بها لاعتاد الناس على تحمل أمانة

(١) سورة إبراهيم آية ٢٤.

الكلمة ومسئوليتها، ولكفت يد البطش، ولانقشع جبروت الظلم. لكنها الدنيا دار الابتلاء، أدواتها كلمات تعقبها أفعال، إما تعين على حق، وإما تدفع بصاحبها إلى هوة سحيقة، وتحرِّى الحق والبحث وراءه قوة أخرى توجه الإرادة. إنها مسئولية الكلمة تلك التى قال عنها رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم وأخطأ فله أجر**». فالأجر على قدر الاجتهاد لا ينفك عن صاحبه قل أم كثر.

ولعل الباعث إلى هذه المقدمة ما نلمحه من وافدات تغزو حياتنا رويدًا فى شتى مجالات الحياة. ولست موصدة لاجتهاد أو داعية لرفض كل مستحدث، بل إننى على عكس ذلك تمامًا أؤيد كل ما يثرى بيئتنا، ويرتقى بها من تداعيات الجهالة والتخلف والفكر المنحرف والشعارات الجوفاء.

فشريعتنا الغراء ترفض الجمود وتحث على البحث والتحرى، وإعمال العقل، وتدريب الفكر لإحياء الأمة الخيِّرة التى جعلها الله على رأس الأمم، كما فى قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1].

ولن تتحقق الخيرية إلا بعلم وعمل فى سائر ميادين البحث والكشف.

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

وعلى الرغم من حفول الشريعة بالضوابط التى تحرص على بناء شخصية متميزة متفردة تجعل العبودية لله منطقة تنافس للعمل والإنتاج والإتقان، وأماكن العمل والإنتاج لا تقل شأنًا عن محاريب العبادة، بل يعبد الله بالترقى والإتقان، فقمة العبودية درجة الإحسان فى الأداء النافع الخير للناس عامة انسجامًا مع عالمية الإسلام.

وبالرغم من هذه الركيزة الأصيلة إلا أن الفكر الإسلامى لا يجد حرجًا من التطلع إلى كل ما هو مفيد نافع عند غير المسلمين، واستشارة خبرائهم والاستفادة بخبراتهم إحياء للأمة الخيِّرة.

أما إن تعلقت الوافدة بما يمس جوهر العقيدة من حلال وحرام أو يلج إلى منطقة الشبهة فالأمر يدعو للكلمة والرأى.

والوافدة الباعثة للتحاور الآن هى من هذا القبيل، وهى بنوك اللبن. وقد استوقفنى كم لا بأس به من الفتاوى والتحاورات التى تؤيد إنشاء مثل هذه النوعية من البنوك أسوة بجاراتها الوافدة من بنوك الدم وبنوك الأعضاء. وربما وجدتنى بعفوية أقول: ليس ببنوك اللبن تُبنى الحضارات، ولسنا إليها من أهل الاضطرار.

فإن أوجبت الضرورة إنشاء بنوك للدم لكثرة الدواعى إليه فى التطبيب والمعالجة من أمراض لم تعرف قبلاً، فما أجد لبنوك

الألبان هذا القدر من الأهمية إلا أننى آثرت الصمت والتزمْتُ طريق البحث والتحرى، فسافرت وراء الكلمة الصفراء والبيضاء، وأظمأت نهارى وأسهرت ليلى، لأضع دراستى المتواضعة هذه بين يدى الباحث عن كلمة حق.

د. عبلة الكحلاوى

بنوك اللبن

بنوك اللبن بدعة العصر، إذ لم تُعرف إلا منذ أمد قصير، منذ أن تخلت المرأة عن دورها الذى فُطرت عليه، وانطلقت وراء سعار المادة لتعمل بجانب الرجل فى الشركات والمؤسسات والمصانع ونحوها، فتقضى وقتاً طويلاً بعيداً عن رضيعها الذى تركته فى الحضانة، أو مع المربيات المتخصصات أو لدى الجدات والقريبات.

وأصبحت الطفولة على شفير الهلاك بعد أن أصبح خروج المرأة جزءاً من الحقيقة لا ينفصل عنها.

وكان بديل الرضاعة الطبيعية الألبان الصناعية، وألبان الماشية التى ثبت بالدليل القاطع أنها لم تثمر سوى الخواء العاطفى والنفسى، فضلاً عن الأمراض الناجمة عن التلوث بالمواد الكيماوية.

من هنا جاءت فكرة إنشاء بنوك اللبن على غرار بنوك الدم التى اشتد الطلب عليها بعد ما توالت الأبحاث والنشرات التى

تعزز فكرة الرضاعة الطبيعية، وضرورة العودة إلى لبن الأم، والاستغناء عن البدائل التى تضر بصحة الطفل فى أيام عمره الأولى، كما توالت الدراسات التى تعدد مزايا الرضاعة الطبيعية، وما يتميز به لبن الأم من خصائص وسمات لا تتوفر فيما سواه من البدائل.

وتعتمد بنوك اللبن على تغذية الرضيع بلبن الأمهات الطبيعى التى تقوم بجمعه سواء عن طريق شرائه، أو من المتبرعات. وتجرى عليه عمليات الفحص والتحليل لاختبار مدى صلاحيته، وخلوه من الأمراض. وتخلط الألبان وتعبأ فى أوعية خاصة بعد إجراء أعمال التعقيم والتبريد وإضافة المواد الحافظة، والحفظ تحت درجات حرارة معينة، إلى غير ذلك من الأعمال المتعلقة بضمان سلامة وصلاحية تداول هذه الألبان.

نعود إلى بلادنا الإسلامية التى لم تدخل فيها هذه البنوك بعد، ولأننا شعوب تتطلع إلى الغرب دومًا، وتنبهر بما تنبته قرائحهم أبدًا، فإنْ آجلاً أو عاجلاً سوف تدخل هذه البنوك بلادنا، كما دخلت بنوك الدم وبنوك الأعضاء، لأننا نسير وراءهم ووفق أهوائهم.

فالمرأة الآن تعمل فى كل الميادين، والأطفال تضيق بهم دور الحضانة، والطفولة تصارع المرض والحرمان والخوف.

وكذلك الحال أيضاً مع أطفال آخرين لا ترضعهم أمهاتهم خشية ضياع معالم الأنوثة والرشاقة لديهن.

لهذا كان لابد من معرفة الحكم الشرعى لهذه البنوك التى قد نفاجأ بدخولها إحدى البلاد الإسلامية، خصوصاً وأنه لم يتناوله إلا قلة من فقهائنا الأجلاء المعاصرين، فأردت أن أضيف بصيصاً متواضعاً من الضوء معهم على هذه القضية، لكى يتبين لنا الحق والمشروعية.

هذا وقد اقتصر بحثى فى الرضاع على الموضوعات التى لها صلة بالبنوك. وعلى هذا جاء البحث على النحو التالى:

* المبحث الأول:

التعريف بالرضاع:

- التعريف لغة.
- التعريف شرعاً.
- وجوب إرضاع الطفل ورعايته.
- مشروعية التحريم بالرضاع.

* المبحث الثانى:

شروط الرضاع المحرِّم:

*** الشرط الأول:**

زمن الرضاع الموجب للتحريم:

الرضاع بعد الفطام.

رضاع من تجاوز سن الفطام (رضاع الكبير).

* الشرط الثانى:

مقدار الرضاع المحرم وعدد الرضعات.

* الشرط الثالث:

وصول اللبن إلى الجوف:

- الوجور والسعوط.
- الحقن.

* الشرط الرابع:

حكم اختلاط الألبان.

* المبحث الثالث:

المحرمات من الرضاع والشهادة عليه:

- من هن المحرمات من الرضاع؟
- الشهادة على الرضاع المحرِّم.

* المبحث الرابع:

بنوك اللبن بين المجيزين والمعارضين:

- أدلة المجيزين.
- أدلة المعارضين.
- المناقشة.
- اقتراح بإنشاء دار الأمهات الرحيمات.